علم اللاهوت بين المسيحية والاسلام

Theology between Christianity and Islam

م. د. علي فالح علي

كلية الآداب/ جامعة بغداد

ملخص البحث:

لقد تكرس البحث لتسليط الضوء على أهم العوامل المرتبطة بعلم اللاهوت في الديانتين المسيحية والاسلام، بدءا من الحالة التي استطاع بها أن يكون له حضورا فعليا في الادبيات الدينية. فبعد المقدمة تناول البحث عدة مواضيع، أهمها، الاختلاف الذي يميز اللاهوت المسيحي عن اللاهوت الاسلامي من ناحية النشأة والعوامل المرتبطة بها. كما تناول البحث دور اللغة في تحديد المسار العام لعلم اللاهوت في كلتا الديانتين، والاثر الكبير الذي تركته في نشأة علم اللاهوت داخل المنظومة الدينية، وفي تحديد الأسس التي استند عليها. وكذلك تطرق البحث عن المكانة التي حظي بها علم اللاهوت في الديانة المسيحية باعتباره السبيل الامثل لهداية الناس، الأمر الذي لم يكن له ذات الاهمية في التجربة الاسلامية، وذلك لعوامل ذُكرت في ثنايا البحث، واخيرا انتهى البحث بخاتمة توجز استنتاجاته.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام علم اللاهوت ـ الفلسفة المسيحية ـ الفلسفة الاسلامية

Teacher-doctor- Ali falih ali .department of philosophy . arts college university of Baghdad

E: alifalih@coart.uobaghdad.edu.iq

Summary:

The research is devoted to highlighting the most important factors associated with theology in the Christian and Islamic religions, starting with the case in which it was able to have a real presence in the religious literature. After the introduction, the research has dealt with a number of topics, the most important of which is the difference between Christian theology and Islamic theology in terms of its origin and the factors associated with it. The research has also taken the role of language in determining the general path of theology in both religions, the great impact it left on the emergence of theology within the religious system, and in determining the foundations on which it was based. The study has also examined the status of theology in Christianity as the best way to guide people, which was not of the same importance in the Islamic experience, for the factors mentioned in the folds of research. And finally the research has ended with conclusion summarizing its inferences .

المقدمة:

يُعد علم اللاهوت أو - علم الكلام - من أهم العلوم التي يعول عليها الدين للدفاع عن الافكار والرؤى التي جاء بها ، وتبريرها ، عقلياً ، من قِبل الداعين له فهو ، أي اللاهوت ، السلاح الذي لا بد منه لإقناع الناس بالحقيقة التي جاء بها هذا الدين أو ذاك ، وقد كان للدين المسيحي الفضل الكبير في ظهور هذا العلم ، وإن كان قبل ذلك مزوياً في ثنايا النصوص المقدسة التي سبقت هذا الدين ، وبمجيء الاسلام لم يغب هذا العلم عن أدبياته في الممارسات التي اضطلع بها رجال الفكر المنضوين تحت قبة هذا الدين .

وفي بحثنا هذا، نحاول ، قدر الامكان تسليط الضوء على أهم الحيثيات المرتبطة بهذا العلم في الديانتين، بدءاً من الحالة التي استطاع بها هذا العلم ان يكون له حضوراً فعلياً في الأدبيات الدينية، فقد بينت في هذا الأمر الاختلاف يميز اللاهوت المسيحي عن اللاهوت الاسلامي في موضوع النشأة والعوامل المرتبطة بها، في كلا الفضائيين. كما تناولت في هذا البحث ، دور اللغة في تحديد المسار العام لعلم اللاهوت في الديانتين ومبيناً الفارق الكبير الذي لعبته في نشأة العلم داخل المنظومة الدينية، وما لها من حظوة كبيرة في تحديد الأسس التي قام عليها اللاهوت . وكذلك تناولت موضوع المكانة التي يحظى بها هذا العلم في الديانة المسيحية باعتباره

السبيل الأمثل لهداية الناس، الذي لم يكن له ذات الأهمية في التجربة الاسلامية ، لعوامل ذكرتها في ثنايا هذا البحث. وأود التنبيه إنني في بحثي هذا أسلط الضوء على النصوص المقروئة وليست الشفاهية ، لا سيما في المسيحية ، ذلك إن مما هو مُعطى تاريخياً إن العهد الجديد لم يُكتب إلّا بعد مرور عدة سنوات على موت المسيح – عملية الصلب – وعليه فإن الدراسة ستتركّز على بداية الدعوة بنسختها المكتوبة ، وليست المسموعة ، فالمشهور ، تاريخياً وليس عقائدياً ، إن عيسى لم يترك شيئاً مكتوباً ، والانجيل لم يكن من إملاءاته ، بل كان جهداً اضطلع به التلاميذ والرسل من بعده ، كما إن البحث هذا لا يتكلّم عن الدعوة الدينية ، مسيحية كانت أم اسلامية ، بل مقتصر بالدرجة الأساس على الدراسات اللاهوتية ، مع الجنوح لبعض الحيثيات المرتبطة به طالما اقتضى الامر

فهو ليس بحثاً يتركز على الدعوة بصورتها العامة ، فحتى لا يتوهم القارئ الكريم من إنني اتكلم عن الدين الاسلامي أو المسيحي بمدياته الواسعة ، بقدر ما أتكلم عن الحيثيات التي ارتبطت بعلم اللاهوت بوصفه حقلاً فلسفياً قابلاً للدراسة والتحليل . وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في تبيان هذا الموضوع ، لما له من أهمية كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي سواء أكان ذلك في الفلسفة المسيحية أم الاسلامية ، ومن الله التوفيق .

أصل الانبثاق

إذا ما قارنا بداية ظهور علم اللاهوت مع بداية ظهور الديانتين ، سنجد إن هناك فرقاً من حيث المدة الزمنية ، فاللاهوت المسيحي لم يدخر جهداً ليخرج الى العلن ، كما هو الحال بالنسبة لعلم الكلام الاسلامي ، ذلك إن الانجيل الاول كان قد كُتب في سنة ٦٠ أو ٧٠ميلادي ، أي بعد عملية – الصلب – التي جرت على يسوع المسيح بثلاثة عقود على أكثر تقدير ، مما يعني إن هذا العلم لم يكن مخفياً وظهر الى العلن نتيجة مماحكات ومجادلات كلامية داخل المنظومة المسيحية ذاتها ، بل وُلد مع ولادة النص الذي سيغدو بدوره المرجع الرئيس المعتمد من قِبل المُبشرين .

أما في الاسلام ، فيجمع أغلب الباحثون على إن علم الكلام قد ظهر الى العلن ، بعد مرور مئة عام من ظهور الاسلام ، وبالذات في البصرة ، وذلك في بدايات القرن الثاني الهجري ، صحيح إن لعلم الكلام إرهاصات كانت قد سبقت هذا التاريخ ، كظهور حركة الخوارج واسهامات بعض المسلمين من أمثال (الجعد بن درهم ت١٠٥ هجري والجهم بن صفوان ت ١٢٨ هجري) وكذلك آراء (معبد الجهني ت ٨٠ هجري وغيلان الدمشقي ت ١٠٦ هجري) ، لكن ظهوره - وبشكل رسمي - لم يكن إلّا على يد المعتزلة ممثلاً برجالاته الأوائل (واصل بن عطاء البصري ت ١٣١ وعمرو بن عبيد المعتزلي ت١٤٣) .

وإذن نستطيع أن نقول إن علم اللاهوت في المسيحية ظهر جنباً الى جنب مع ظهور الديانة ذاتها ، وليس بعد مضي فترة من بداية الدعوة كما هو الحال بالنسبة للاهوت الاسلامي ، وهذا ما يستدعي الوقوف على الاسباب التي دعت الى ذلك ، و **أول** تلك الأسباب نراها في إن المسيحية جعلت من اللاهوت سبيلاً للبشارة ، إذا ما علمنا أصلاً ان كلمة (انجيل) تعني التبشير ، أو – الأخبار السارة - في اللغة اليونانية [1]، أي بمعنى إن اللاهوت بالاساس كان غرضاً لنشر النصرانية في باقي اصقاع العالم ، وأداةً للدفاع عن العقيدة المسيحية في وجه الوثنيين وبالذات الوثنية الرومانية واليونانية والشعوب الهلنستية القاطنة في الجانب الشرقي من البحر

المتوسط ، أو ما يُعرف بآسيا الصغرى ، وكذلك لدرء المعارضة التي أبداها رجال الدين اليهود للافكار والتعاليم المسيحية * .

وبذلك يكون التعريف الاصطلاحي لعلم اللاهوت [٢] له دلالته الحقيقية على الممارسات الفعلية للمسيحيين الاوائل الذين أخذوا على عاتقهم نشر هذه الديانة ، وهذا ما لا نراه في الحديث عن علم الكلام الاسلامي ، من حيث إن هذا العلم لم يخرج الى العلن بدافع الذود عن العقيدة الاسلامية في مقابل الخصوم الخارجيين بالدرجة الأساس ، وإن كانت هنالك محاولات وآراء صدرت نتيجة الطروحات التي صدع بها الراهب النصراني يوحنا الدمشقي والمؤلفات التي كتبها لنقد التعاليم الاسلامية ، ولكن الدافع الأهم هو للطعن بالآراء الكلامية المتعارضة التي تبناها جملة من المسلمين أنفسهم ، ليشرع علم الكلام على يد جماعة المعتزلة بالظهور كعلم مستقل عن باقي العلوم الأخرى .

لذا ، فإن المؤثرات والعوامل التي أدت الى ظهور هذا العلم في الساحتين المسيحية والاسلامية ، تختلف فيما بين الإثنين ، إذ ان اللاهوت كان في بداية ظهوره في المسيحية مِعولاً لنشر الديانة وليس عقيدة خاصة مُتبناة من قبل فرقة كلامية بأزاء عقائد لفرق كلامية اسلامية أخرى ، فـ(فاعل الكبيرة والموقف العقائدي من فاعلها) التي هي نواة النشوء ، قد فتحت الباب على مصراعية للفرق الاسلامية للانتقال الى آفاق واسعة وفضاءات رحبة ، راح علماء الكلام يغوصون فيها ، معلنين على أثرها ولادة حقل معرفي عميق يضم في جنباته موضوعات عدّة ، لم تكن مطروحة في الساحة الفلسفية من قبل ، وهذا ما يُحسب للفكر الاسلامي وأصالة الموضوعات التي طرحها في الفكر الفلسفي بصورة عامة ، فاذا كانت الفلسفة الاسلامية ، وبكافة أشكالها سواء اكانت مشائية أم اشراقية ، يُنظر اليها على أنها في أغلب طروحاتها شروح وتوضيح لما جاءت به الفلسفة اليونانية ، فإن علم الكلام يُعد نتاجاً اسلامياً خالصاً وُلد على غير مثال ، فموضوعات كالعدل والتوحيد وما تمخض عنها من أفكار ونظريات ، كانت بحوثاً أصيلة في الساحة الفكرية ، لم نجد لها نظير عند الفلسفات السابقة لها .

أما **ثاني** الأسباب فهي إن المحيط الذي ظهر به الدين المسيحي كان محيطاً مشبعاً بالفلسفات القديمة ، فالبيئة الثقافية للدعوة ، كانت قد لعبت دوراً في التعاطي مع الأفكار الجديدة فمما هو معلوم إن الأراضي الفلسطينية – وهي مهد المسيحية - وما جاورها من البلدان كبلاد الشام وآسيا الصغرى والجزر اليونانية مروراً بالاسكندرية التي هي معقل من معاقل الافلاطونية المحدثة ، كانت ترزح تحت الحكم الروماني ، وبالتالي كان الوعي الثقافي عندها ذا مستوى عالٍ من الثقافة الاغريقية بصورتها الهلينية والهلنستية* ، ناهيك عن الديانة اليهودية التي خرجت المسيحية من رحمها ، والتي تحمل إرثاً دينياً ضارباً في التاريخ ، لذا ((جاء الانجيل مقفياً للعهد القديم – التوراة – وكان الاتباع ثم من أتى بعدهم من الأجانب الدخلاء ينتسبون الى الطبقات الاجتماعية كلها ، لكنهم كانوا أولاً مغمورين في جو اقليمي ثقافي له طابعه الخاص وهو الهلنستية))[٢] والمتتبع للرسائل التي قام بكتابتها الرسل – الحواريين والتلاميذ على حدٍ سواء – لمواطني البلدات التي انتشرت بها الديانة المسيحية ، يجد فيها خطاباً دينياً وأخلاقياً يلامس الروح التي جُبل عليها سكان تلك المستعمرات الرومانية ، من فلسفات ومدارس أخلاقية معروفة ، ((إذ منذ فتوحات الاسكندر المقدوني ، أخذ سكان المدن ،

ثم سكان القرى ، أخذوا يتمثلون الثقافة القديمة ويتحدثون اللغة الاغريقية ، بل ثمة منهم من اتخذ اسماء رومانية))[٣] ومما هو معروف كان للمدارس الرواقية والأبيقورية صدى واسع في ثقافة تلك البلدان ، ناهيك عن الفلسفات اليونانية الأخرى كالافلاطونية والارسطية والأفلوطينية ، ولا يخفى علينا أيضاً ، إن بعض الاساطير الاغريقية القديمة والتي ظلت متداولة بين الطبقات الدنيا في المجتمعات الهلنستية ، قد بُعثت من جديد نتيجة التماهي فيما بينها وبين الحيثيات المرتبطة بالدين الجديد ، فإسطورة هرقل ، على سبيل المثال ، – ابن الإله الذي نزل الى الأرض – كان لها أثراً في الوسط الاجتماعي عندما تجسّدت في شخص المسيح الذي يُعد ، بطبيعة الحال ، عند المسيحية إبن الله الهابط من ملكوت السماء والعائد اليها بعد الفداء ، فبدا التأثير الديني المسيحي بأفكاره المستساغة من قبل اهل تلك المدن الرومانية ((أن يتلاقى مع أفلاطون ومع الفكر القديم ، فأدى ذلك بالمسيحية أن تغدو ، حتى قبل نشأتها ، منفتحة أزاء الفكر اليوناني والحكم الروماني))[٤] وفي المقابل إن تلك الآراء المتجذرة في الامبراطورية الرومانية ، ذات الخلفية اليونانية كانت قد تسللت الى الفلسفة المسيحية ، فيما بعد ، بفضل آباء الكنيسة في القرون الوسطى ، حتى لقد انشقت الفلسفة عند هؤلاء القديسين الى افلاطونية وأرسطية مما يعني إن الديانة الجديدة – المسيحية – لم تكن ، بفضاءاتها العامة ، غريبة عن الوسط التي انتشرت فيه .

ونقول بفضاءاتها العامة ، لأن التصورات الدقيقة للديانة المسيحية لم تلق ، في بادئ الأمر ، ردوداً ايجابية من قِبل السكان ، من حيث ان مواطني الامبراطورية ولا سيما المدن الكبرى ، كأثينا وروما ، على سبيل المثال ، قد اتخذوا موقفاً معارضاً للتعاليم الجديدة ، ويأتي ذلك بالاساس من الخلفية الثقافية لهم ، ((فمما تجدر ملاحظته ، هو أن دعوة بولس لم تلق نجاحاً يذكر في مدينة أثينا التي كانت مركزاً رئيساً للثقافة الهلينية فقد سخِر الناس من حديث بولس - في رسالته اليهم – عن قيامة الأموات الموعودة ، ولم تذكر أعمال الرسل – وهي احد أجزاء العهد الجديد – سوى اسمين من المؤمنين))[٥] لذلك استدعى الخطاب الديني الاستعانة بالمسارات الفلسفية المعهودة كوسيلة للإقناع ، مما سهل دخول شعوب تلك البلدان في الايمان ، فالمسيحية وفي أغلب مساراتها ، لم تكن ديناً صدامياً يرنو لنشر عقيدته بالقوة لا سيما في تلك المسارات المتعلقة بالعلم اليوناني ، فالمسيحية ((لم تقف من التربية العلمية اليونانية موقفاً مُغايراً لموقف الفلسفة اليونانية نفسها))[٦]

وهذا ما لا نراه في التجربة الاسلامية ، فالأقوام التي بدأت الدعوة في حاضرتها ، لم تكن ، كما هو حال التجربة المسيحية ، على قدر واسع من الثقافة والفلسفة ، اللهم إلّا ما ندر ، إذ لم تكن البيئة العربية ، بيئة مهيأة لتلقي تعاليم دينية مؤطرة تأطيراً فلسفياً لاهوتياً ، ذلك ((إن الحجاز – مهد الرسالة – بلاد لم يكن لها يومذاك ماضٍ ثقافي ، فالاسلام بدا ظاهرة جديدة حقاً في البلاد التي كُتبَ له أن ينتشر فيها))[٧] فاقتصر الأمر في بداياته أساساً على ثني الناس عن عقيدة الشرك والدعوة لعبادة الاله الواحد ، معتمِداً بذلك على قوة الإيمان الغيبي ، صحيح إن مكة ، مهد الدعوة ، كان يعيش بين ظهرانيها أقواماً من الديانات الاخرى كاليهود في مدينة يثرب وخيبر والنصارى في نجران ، لكن تلك الاقوام كانوا على شكل مجتمعات مغلقة في طقوسها وطريقة تعبدها ، ولم تكن منفتحة على المجتمع الذي يعيشون فيه ، فالأثر الديني لهؤلاء يكاد يكون مختفياً وبالتالي لم

يكن لهؤلاء أثراً على البيئة العربية سوى القلة من تلك القبائل التي تتّصرت بفعل التجاور الجغرافي مع بلاد الشام .

كما إن المجتمع العربي إبان الدعوة الاسلامية كان مجتمعاً ذا طابعٍ قبلي ، له عاداته وتقاليده الضاربة في القِدَم ، والتي كانت هذه العادات بمثابة (المقدس) ، فليس من السهل إدخال مفاهيم عقلية ، لاهوتية ، على هكذا بيئة مترسخة فيها تعاليم مغلقة . ومن هنا تطلّب علم اللاهوت في نسخته الاسلامية رِدحاً من الزمن للظهور للعلن ، وقد يكون الانصهار الديني عاملاً اساسياً في صدور علم الكلام عن أولئك المفكرين المسلمين ، فمما هو معروف إن البصرة ، التي بزغ علم الكلام من حاضرتها ، كانت ملتقى لشتى الثقافات - والثقافات الشرقية منها بالذات كالفارسية والهندية – مما هيأ جواً من الانفتاح وتلاقح الافكار ونضوجها ، حتى استطاع علم الكلام ان يرى النور في ذلك الجو المفعم بالعلم والثقافة .

في رحاب اللغة

هنا لا بد من الإشارة الى موضوعٍ مهم ، - يمكن أن نعدّه عاملاً **ثالثاً** - يكاد يكون عاملاً حاسماً في تبلور الفكر اللاهوتي عند كلا الفريقَين ، ألا وهو موضوع اللغة ، فمما تجدر الإشارة إن اللغة التي كُتبت بها الاناجيل الأربعة وباقي أقسام العهد الجديد هي اللغة اليونانية [٨] ولكن بالعودة الى لغة الدين الناشئ نرى إن السيد المسيح ، وباقي حواريه وتلامذتهم ، كانوا يتحدثون اللغة الآرامية ، علاوةً على اللغة الدينية الخاصة التي يتحدثونها في طقوسهم واجتماعاتهم ، وأقصد هنا باللغة العبرية [٩] وعليه فإن ترجمة تلك النصوص العقائدية وتوضيح الأفكار الدينية الناشئة حديثاً بحاجة الى الاستنجاد بمصطلحات وعبارات تتلائم مع البيئة الفكرية لتلك البلدان التي انتشرت فيها المسيحية ، فعملية النقل لتلك النصوص من اللغة الأم الى لغة الأقوام المستنيرة بالدين الجديد من قِبل كتبة الاناجيل - الذين كانوا يتقنون اللغات الأخرى - لم تكن حرفية خالصة ، بل كانت تتوخى الدقة في صياغة التصورات الدينية مع اللغة المحكية عند تلك الشعوب ، سيما إذا ما علمنا إن بولس الرسول - أهم شخصيات العهد الجديد بعد المسيح - كان مواطناً رومانياً علاوةً على ديانته اليهودية – قبل أن يتنصّر – يتكلم اللغة الإغريقية فقد كان ((رجلاً أوتي علماً كثيراً ومتبحّراً في لاهوتيات الاسكندرية الهلينية ومتأثراً بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهلينستية وبأساليب الرواقيين ، وكان صاحب نظرية دينية ومُعلّماً يُعلّم الناس قبل أن يسمع بالمسيح))[١٠] .

وبالتالي فإن مدارات العقيدة وجدت طريقاً سهلاً في انتشار اللاهوت المسيحي في تلك البقاع ، التي كانت هي بالأساس من أهم معاقل الفلسفة والفكر ، ومرتعاً خصباً لتلك المدارس الفلسفية ذات الطابع الاخلاقية التي ظهرت بعد أرسطو[١١] ، فتلك البلدان أو الأقاليم الرومانية كانت ((أكثر خصوبة واثماراً بسبب وضعها كمركز هام للديانات ، فالى جانب العبادات القومية ، وأساطير الديانة الاولمبية ، وتأملات الفلاسفة اليونانيين وعقائدهم ، كان قد انتهى التبسيط حتى تكون في متناول العامة والى جانب كل هذا ، نجد في تلك البيئة مؤثرات من سائر البيئات الاخرى ، بما فيها اليهودية))[١٢] لذلك أرى إن الدين المسيحي وبصبغته الاخلاقية المعهودة ، كان يُنظر اليه من جانب معين على إنه مدرسة دينية ذا ميول فلسفية واخلاقية ، ليست بغريبة عن الوسط العام لتلك الاراضي، مما اتاح للدعاة أن يجدوا موطئ قدمٍ راسخ وبيئة خصبة تتلقف الأفكار الجديدة بشغف ، وبناءً

على ذلك أمكننا أن نصف اللاهوت المسيحي بأنه دعوة ذات طابع اقناعي أكثر منه ديناً صدامياً سيما أنه رفع شعار المحبة والسلام في تلك الأرجاء .

أما بالنسبة للتجربة الإسلامية فلا يخفى على أحد ، من ان الكتاب المقدس – القرآن – قد نزل بذات اللغة التي يتكلمها أهلُ مكة ، وباقي القرى المحيطة بها من أرض الحجاز ، وبالتالي ((لا يسعنا أن نرجع الى وحي سابق هو مردود أصلاً* كما انه لا يسعنا ايضاً قبل الالتقاء بالهلنستية على الأقل ، أن نلجأ الى الفلسفة . وقد أدى هذا بالفكر العربي أن ينطلق من ذاته مستنداً الى نزعاته الفطرية وسجاياه وحدوده ، ليشرع باستنباط العلوم الاسلامية من خلال القرآن ومن حوله))[١٣] فلم تتبلور تلك الأفكار – اللاهوتية حصراً – عند الأقوام العربية ، من حيث إن توضيح تلك الأفكار بدا عسيراً على شعوب لم تكن على دراية كافية من المصطلحات والمفاهيم الفلسفية ، كما إن تلك البقعة القاحلة من المعمورة ، بدا فيها الدين غريباً لا سيما إن الداعي له – النبي محمد -ليس غريباً عليهم ، بل هو رجلٌ نشئ وترعرع في كنفهم ، على عكس المسيح القادم من تلك البلدة النائية في أرض الجليل ** مما يعطي لصفة الغرابة عاملاً نفسياً ايجابياً لدى الأقوام المتلقية لأفكاره الجديدة ، إذا ما علمنا إن تلك الشعوب الرازحة تحت الحكم الروماني كانت تستبدها الحيرة والقلق نتيجة افتقاد اليونان لاستقلالهم السياسي وافتقارهم لفلسفة عميقة كتلك التي شيدها فلاسفة الإغريق الأوائل[١٤] ، ليجدوا في شخص المسيح وتعاليمه الدينية ، منقذاً من واقعهم المرير وطمأنية نفسية في خضم الصراع الفكري المتشتت ، بل ويسري هذا الأمر حتى عند اليهود – الذين آمنوا بالمسيحية – من حيث إن مدينة القدس – أورشليم – والتي هي بطبيعة الحال ، المدينة المقدسة الاولى ، لم تكن بحال من الأحوال من المدن التي راح يُبشّر بها يسوع أثناء دعوته ، ولم يفد اليها ، إلّا في الأيام الاخيرة التي سبقت القبض عليه من قبل السلطة ، فكانوا ينظرون الى شخص المسيح باعتباره المخلص الذي تصلهم أنباءه عن طريق سكان البلدان التي حط رحاله فيها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان عامة اليهود ، وليس خاصتهم ، يتوقون الى اليوم الذي يأتي فيه الموعود الذي يخلصهم من المأساة التي عانوها طيلة القرون الغابرة ، من سبي وتنكيل من السلطات الحاكمة ، حتى ان أهل المدينة المقدسة وعند دخول المسيح اليها راحوا يصدحون بالهتافات التي تمجد دخول المنتصر الذي سيقيم مملكة الرب وسقوط مملكة الكفر الرومانية التي عانوا منا الأمرّين [١٥] .

في حين نجد إن النبي محمد في نظر المجتمع المكي شخصاً ذا أفكار تهدد المنظومة القبلية الصارمة التي درجوا عليها ، كما إن مكة لم تكن ، في واقع الأمر ، في حالة من عدم الاستقرار ، ولم تكن في موضع يرى أهلها أنهم في حاجة لمنقذ يجتثهم من الواقع المُعاش ، بل العكس ، كانت مكة تتمتع بمكانة خاصة من بين القرى في الجزيرة العربية لأسباب اقتصادية ودينية معروفة ، لذا فإن دعوة دينية جديدة وغريبة عن أعرافهم وتقاليدهم ، ينظرون اليها بوصفها خطراً يُهدد المصالح التي يمتازون بها ، فلا غرابة أن نجد معارضة قوية من قبل اهل مكة للدعوة الجديدة باستثناء بعض المؤمنين والذين كانوا في أغلبهم من الموالي والمستضعفين ، مع بعض الصحابة المقربين ، إلا ان تلك الأفكار قد لاقت صداها عند أقواماً متاخمة لمهد الدعوة ، وأعني بذلك مدينة يثرب في الشمال منها ، وهذا ما يمكن أن نربطه بالسبب الذي دعى أهل البلدات الهلنستية من الترحاب بذلك الدين الوافد كما أشرنا قبل قليل ، من حيث إن أهل المدينة كانوا بحاجة لحركة جديدة وافدة من الخارج تُخلصهم

من الواقع الذي كانوا يعيشونه في تلك الفترة ، من صراع دائم بين القبيلتين المكونتين للنسيج الاجتماعي لهذه المدينة .

ولا يعني هذا ان المسيحية لم تلق في بداية دعوتها معارضة من قبل البلدان التي انتشرت فيها ، ولكن تلك المعارضة كانت مقتصرة ، في أغلب الأحيان ، على رأس السلطة السياسية المتمثلة بالامبراطور وعُماله على المدن ، بمعزل عن الشعوب الرازحة تحت حكمه ، بينما لا نجد هذا الامر في الدعوة الاسلامية التي كانت المعارضة على أشدّها من قبل القبائل القرشية برمتها ، ولم تُستثنى في هذا الأمر حتى القبيلة التي ينتمي اليها صاحب الدعوة ، إلّا القلة منهم . فعلم الكلام لم يكن بدرجة من الأهمية تؤهله لأن يتصدر الموضوعات الاساسية للدعوة الاسلامية فقد كان الأمر معقوداً في بدايته ، عند النبي محمد وصحابته الأوائل ، على النهي عن عبادة الأصنام والدعوة لعبادة الإله الواحد ، بل إن هناك من يرى إن النبي قد نهى عن الخوض في موضوعات كلامية ، خوفاً من انتشار البدع في ظل الدين الناشئ حديثاً ، إذ يروى عن ابو هريرة أنه قال ((خرج علينا رسول الله (ص) ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أُرسلت اليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم الا تنازعوا))[١٦] وهذا ما جرى عليه الخلف من بعده عند أئمة المذاهب ((فقد روي عن مالك المتوفي عام ١٧٩ ه أنه قال : إياكم والبدع . قيل يا ابا عبد الله ، وما البدع ؟ قال أصحاب البدع هم الذين يتكلمون في اسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان))[١٧]

ولم يكن هذا الأمر غائباً عن الدعوة المسيحية في مقارعة الوثنيين ، ولكن الموضوعات اللاهوتية كانت منساقة جنباً الى جنب مع تلك التعاليم الدينية ، لذلك نرى ، وكما أشرنا قبل قليل ، إن اللاهوت الاسلامي – علم الكلام – قد تبلور ونضج بفعل التلاقي الثقافي بين الشعوب المنضوية في الاسلام في البصرة ، حتى خرج علينا علم الكلام بصورته الاسلامية ، فاتحاً الباب فيما بعد ، لباقي الموضوعات العميقة والناضجة المندرجة تحت قبته .

وبالعودة الى تاريخ نشوء العلم عند الفريقين ، نقول ان اللاهوت في المسيحية كان منصباً على التعاليم الدين الناشئ حديثاً ، وبذلك يكون اللاهوت وجهاً آخر لتلك التعاليم الدينية وشرحاً توضيحياً لها ، على عكس اللاهوت الاسلامي الذي أُفرد له حقلاً خاصاً له ، بمعزل عن التعاليم الاسلامية وهذا ما سنوضحه في الموضوع التالي .

مكانة العلم

يحتل اللاهوت في الديانة المسيحية حيزاً واسعاً من الاهتمام اذا ما قارناه باللاهوت – علم الكلام – في الديانة الاسلامية ، ذلك ان علم الحديث والفقه وغيرها من العلوم الدينية – في الاسلام - هي التي تصدّرت الاهتمامات الكبرى في مقابل علم الكلام ، أما في المسيحية فقد كان لعلم اللاهوت الكلمة العليا في أي مشكلة تواجه الفكر المسيحي. ومن الأسباب التي دعت لذلك، إن النص المقدس في المسيحية يُعد بحد ذاته نابعاً من السيد المسيح أو من احد الأقاليم الثلاثة المشكِلة للقوة العليا ، فالكلمة التي هي البدء في الاسفار الكتاب المقدس كانت هي المسيح بحد ذاتها . وعليه فان موضوع الحديث لم يعد له مكان خارج النص المقدس ، ناهيك عن

اشتماله ليس على تعاليم السيد المسيح والحياة التي عاشها وحسب، بل اشتمل أيضاً على الرسائل التي حررها بولس ، الذي يُعد واحداً من أهم الشخصيات التي اضطلعت بنشر الديانة في باقي ارجاء المعمورة ، وكذلك أعمال الُرسل الآخرين من أتباع هذه الديانة ، (فالعهد الجديد ، وهو الكتاب الذي يقرّه المسيحيون دون استثناء ويُجلّونه ، احتوى على سبعة وعشرين سِفراً : الاناجيل الأربعة ، وأعمال الرُسل ، وأربع عشرة رسالة تُنسب الى بولس وواحدة ليعقوب ، واثنتان لبطرس ، وثلاثاً ليوحنا ، وواحدة ليهوذا)[١٨] عكس الديانة الاسلامية ، فالنبي محمد لا يُعد مصدراً للكلام بقدر ما هو ناقلاً لكلام الاله ، ذلك إن ((القرآن بحد ذاته هو وحيٌ أُنزل منجماً أثناء ظروف مختلفة زهاء عشرين سنة ، كان النبي فيها يبلغ اتباعه احكاماً أُلقيت من لدن الله))[١٩] فهو يتلو ما يوحى اليه من السماء وما يصدر عنه من كلام أو حتى كلام أتباعه المعاصرين له يصب حقل آخر وضعه رجال الدين تحت طائلة علم الحديث .

صحيح ان الاناجيل تتحدث في بعض اسفارها عن المخاطبة الجارية ما بين الاب والابن ، ولكن الكلام في النهاية يفصح عن الرؤية المشتركة ما بين الاثنين بمعية الروح القدس ، وبالتالي ستنتفي الحاجة لحديث - صاحب الامر- خارج هذه المنظومة المقدسة ، وهذا ما لا نجده في السلام ، من حيث ان الحديث النبوي يُعبّر عن حديث الرسول بمعزل عن النص المقدس ، وان كان الاثنان يصبّان ، من حيث المضمون ، في ذات الرؤية الدينية ، ف((ظاهرة الوحي – في الاسلام – لا دخل لشخص محمد فيها ، وان ظاهرة الوحي مستقلة عن ذاته (عليه الصلاة والسلام) استقلالاً مطلقاً ، متفردة عن العوامل النفسية تفرداً كاملاً))[٢٠] فكلام النبي ، وإن كان موحى من قبل الاله ، يختلف من حيث الصياغة اللغوية ، فيما بين الله وبين النبي الذي هو بطبيعة الحال من البشر، ومن هنا اضطلع علم الحديث ، النبوي ، بمهمة الدراسة والعناية من قبل العلماء والفقهاء الاسلاميين ، بعّدِهِ حديثاً يعبر عن الرؤية النبوية في سياق آخر يختلف ، من حيث البناء اللغوي والعامل المكاني والزماني ، عن الحديث الالهي ، فخرج علم الحديث بمعزل عن علم الكلام ، في الاسلام ، بل ان احد الاسباب التي يراها الباحثون بتسمية علم اللاهوت الاسلامي بعلم الكلام هو لتمييزه عن علم الحديث[٢١] .

ففي المسيحية ، الاناجيل ، لم يكن هناك انفصال ما بين الاله والنبي ، فالكلام الصادر عن السيد المسيح هو ذات الكلام الصادر عن الله في ذات البناء اللغوي المعبر عن الرؤية الالهية المتعلقة بكافة النواحي ، سواء أكانت وجودية أو معرفية أو اخلاقية وغيرها من الموضوعات المشتملة عليها الاديان ، فلم تعنى الدراسات اللاحقة من قبل رجال الدين بالحديث بمعزل عن النص المقدس ، مما مكّن هذا المجال – أي اللاهوت - من اجتياح العديد من الحقول الأخرى ، فبات ما يُعرف باللاهوت الفني واللاهوت الأدبي وغيرها ، مستمداً ذلك من المسحة المقدسة الممنوحة له .

كما ان الاختلافات التي حصلت فيما بعد من قِبل المذاهب الدينية المسيحية ، انصبت بالاساس على الرؤية التي ينظر اليها ، المذهب المعين ، للطبيعة التي يكون عليها المرسل أو المخلص وعلاقته بهذا العالم ، على عكس الرؤية الاسلامية التي كانت تنظر اليها المذاهب الاسلامية للمرسل باعتباره انساناً ، وان كان الاختلاف يتمحور على طبيعة هذا الانسان المرسل . فعلم اللاهوت كان بالنسبة للمسيحية عصب الدراسات التي تشكّلت في خطٍ موازٍ مع بث الأفكار العقائدية .

لكن هذا لا يعني ان علم الكلام في الاسلام لم يأخذ دوره في المجالات الفكرية ، الا ان الامر اختلف من حيث المضمون ، إذ أخذت الدراسات اللاهوتية الاسلامية تتجه الى موضوعات تتصل بالأساس بالانساق المعرفية المرتبطة بمسارات اخرى ذات مناحي تتعلق بطبيعة الاصول العقلية التي يقوم عليها الدين الاسلامي مما استدعى نشوب فرق كلامية متناحرة داخل المنظومة الدينية ذاتها ، أو بمعنى آخر ، ان اللاهوت الاسلامي ، وبعد نشأته بمدة قصيرة لم يكن – كما أشرنا لذلك في الصفحات السابقة - سلاحاً للدفاع عن العقيدة بقدر ما أضحى سلاحاً موجهاً للداخل لا ثبات العقيدة المتبناة من قبل هذا المذهب أو ذاك ، في مقابل المذاهب الاخرى .

ولا ننكر هذا الامر بالنسبة للمذاهب المسيحية ، من حيث ان الاختلافات المذهبية كانت قد برزت وبقوة بعد ظهور الديانة النصرانية ، وكان من نتاجاتها انعقاد المجمعات المسكونية العديدة لحلحلة هذه الاختلافات ، لكن هذه المماحكات كانت ترتكز بالأساس على موضوعات تتعلق بالطبيعة اليسوعية وعلاقتها بالأقاليم بمعزل عن الاسس العقلية التي تقوم عليها الديانة ، من حيث إن هذا الأمر – عقلنة المسيحية – أمراً مسلّماً به، ناهيك عن إن تلك الصراعات كانت فيها الديانة المسيحية تسير بخطى راسخة الى أن برزت تلك التجاذبات، أي إنها بدت حينما اخذ الدين المسيحي يأخذ دوره في الحياة السياسية ، فهذه الصراعات كانت قد ظهرت بعد مدة ليست بقصيرة عن ظهور الدين ذاته ، لذا فان اللاهوت بصيغته البدائية كانت له من الأهمية ان يكون متمكناً من باقي المفاصل الدينية الأخرى ومسيطراً عليها ، لكن الحالة في كلا الديانتين تكاد تكون واحدة ، فلم يمسي اللاهوت أو – علم الكلام – سلاحاً للدفاع عن العقيد كما هو معهود عنه ، بل كان أداتاً للتناحر والتصادم فيما بين الفرق والمذاهب المنبثقة عنه ، وقد تكون البذرة الاولى لعلم الكلام التي نبتت في الجسد الاسلامي ، هي في واقعها الاساسي شرارة أشعلت فيما بعد الكثير من الحروب الدموية فيما بين المسلمين.

وعوداً على بدء نقول ، إن علم اللاهوت وبعد أن أخذ مساره العام في أروقة الدوائر الدينية والفكرية في كلا الديانتين ، شغل حيّزاً من الاهتمام يختلف ، من حيث المساحة فيما بين الاثنين ، ويأتي ذلك ، ان اللاهوت الاسلامي اتسم ، وبمرور الوقت ، بالتمايز الاجتماعي أكثر مما هو صفة عامة لدى جميع المؤمنين ، كما هو الحال في اللاهوت المسيحي ، فالحلقات الكلامية كانت تضم في اروقتها النخبة المجتمعية وليست حالة عامة يتلقفها العامة من المسلمين ، فاقتصرت في أغلب أحاييها على المجادلات التي تُعقد في تلك المجالس ، وإن كانت العقيدة المعتزلة قد انتشرت في زمن معين من تاريخ الدولة العباسية بفضل قوة السلطة السياسية التي تبنّت عقيدتها الكلامية في ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يُعد حالة عامة سارية في المجتمع الاسلامي ، بقدر ما كانت حالة استثنائية وظاهرة بارزة سرعان ما خفتت بمجيء الخليفة المتوكل الذي أمر بوأدها وأما غير ذلك فإن اللاهوت الاسلامي لم يكن بحال من الأحوال فكراً رائجاً في المجتمع الاسلامي أو عند رجال الدين أنفسهم ناهيك عن المنحى الصوفي الذي أخذ يجتاح في مواطن عدّة الساحة الفكرية في الاسلام ، في حين نجد إن اللاهوت المسيحي ، وبفعل المنظومة الدينية قد احتضنت الافكار اللاهوتية بوصفها وجهاً رئيساً من وجوه الدعوة ، فلا غرابة في أن نجد رجل الدين في المسيحية يسمى لاهوتياً ، بينما نجد إن الفصل فيما بين رجل الدين وعالم الكلام واضحاً في الاسلام ، وان كان عالم الكلام متبحراً في الدين ، مما يؤكد على إن المكانة التي يتمتع بها هذا الحقل في الديانتين ، لا تسير بوتيرة واحدة ، فعلى سبيل المثال يُنظر للعلّاف المعتزلي عند الكثير

من المسلمين على إنه شيخ لطائفة كلامية – المعتزلة – وواضع الاسس الأكبر لها ، ومُقرر عقائدها [٢٢] وذات الشيء يُقال للنظّام الذي يعد المنظر الرئيسي لهذا الفرقة ، بينما يُنظر للقديس أوغسطين ت بوصفه قديساً وفيلسوفاً لاهوتياً له من المكانة الدينية ما تؤهله لأن يكون قطباً من أقطاب الدين المسيحي بكافة مذاهبه .

فمن هنا نرى ان مكانة العلم – اللاهوت – قد تباينت في الديانتين المسيحية والاسلامية ، من حيث انها كانت متمكنة من ناصية الحقول الاخرى في نسختها المسيحية ، بينما لا نجد ذلك في النسخة الاسلامية .

خاتمة

مما تقدم من بحثنا هذا نستخلص النقاط الآتية

١- يختلف علم اللاهوت في المسيحية عن نظيره في الاسلام في بداية ظهوره ، ذلك إنه ولد ، في المسيحية، مع ولادة النص المكتوب ، بينما لم يكن هذا الحال في التجربة الاسلامية ، الذي ولد بعد مدة ليست بالقليلة ليرى النور بعد ذلك .

٢- العوامل التي أدت لنشوء علم اللاهوت في المسيحية ، ليست ذات العوامل التي أدت لنشوئه في الاسلام

٣- كان اللاهوت في تجربته المسيحية ، سلاحاً موجهاً ، في أغلب الأحيان ، نحو الخارج ، وهذا ما لم نجده في التجربة الاسلامية من حيث إنه كان أداةً للمجادلات الداخلية بين الفرق الاسلامية .

٤- لعبت اللغة دوراً مهماً في تحديد وبناء الأطر العامة للاهوت سواء أكان ذلك في الاسلام أو المسيحية ، لكنها ساهمت والى حد بعيد في انتشار الدين المسيحي عند الاقوام الاخرى ، بفضل الترجمة التي كُتب بها النص المقدس ، بينما كانت اللغة عند الاسلام هي ذاتها التي اللغة التي استخدمها رجال اللاهوت في أدبياتهم الكلامية.

٥- لم يحظى علم الكلام في الاسلام بذات الاهمية التي تميّز بها اللاهوت في المسيحية ، وبالتالي كانت مكانة هذا العلم ، تختلف فيما بين الاثنين .

٦- كانت للبيئة الثقافية التي ظهر بها هذا العلم ، أهمية كبرى في تطوره ، وهذا ما لمسناه في الحديث عن اللاهوت المسيحي ، بينما لم نشهد ذات الاهمية عند حديثنا عن اللاهوت في الاسلام ، بسبب البيئة التي ولد في حاضنتها

الهوامش والمصادر المستخدمة في البحث

□ - يعد انجيل مرقس ، وهو احد الاناجيل الاربعة المعترف بها من قبل عامة الكنائس المسيحية ، اول انجيل كُتب في تاريخ الديانة المسيحية ، وقد كتبه عام ٦٠ أو ٧٠ ميلادي على اكثر تقدير ، يُنظر ، إ . س . سفينسيسكايا ، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية ، ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق ، دار علاء الدين ، ط٢ ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص١٢٣

[١] - ينظر ، فهيم عزيز ، مدخل الى العهد الجديد ، دار المشرق ، بيروت ، ص٧٨ .

* - لم يُكتب للديانة اليهودية الانتشار في باقي ارجاء المعمورة ، والسبب واضح في هذا الأمر ، من حيث هذه الديانة السماوية كانت مقتصرة على فئة معينة من الناس ، وهم بني اسرائيل ، فالعالمية لم تكن سمة موصولة بها ، على النقيض من النصرانية التي كانت تستوعب جميع الفئات من الناس سواء كانوا من بني اسرائيل – التي خرجت النصرانية من كنفها – وغيرهم من الشعوب الأخرى .

* - تطلق مفردة الفلسفة الهلينية على الفلسفة اليونانية الخالصة التي ظهرت في بلاد اليونان حصراً ، فهي فلسفة لم تتأثر بباقي الفلسفات والأديان الأخرى ، أما الفلسفة الهلينستية فهي مفردة تُطلق على الفلسفة امتزجت بها الفلسفة اليونانية مع اديان وأساطير الشرق ، وذلك نتيجة الفتوحات التي قام بها الاسكندر المقدوني

في القرن الثالث قبل الميلاد ، للمزيد ، ينظر ، اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة ، الفلسفة الهلنستية والرومانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٢ .

[٢] - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ص٢٩ .

[٣] - أ . س . سفينسيسكانيا ، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية ، ص ١٠٤ .

[٤] - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني ، ص٢٩ – ٣٠ .

[٥] - أ . س . سفينسكانيا ، المسيحيون الأوائل والمبراطورية الرومانية ، ص١٠٤ .

[٦] - اميل برهييه ، تاريخ الفلسفة ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

[٧] - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني ، ص٢٨ -٢٩ .

[٨] - يُنظر ، محمد ضياء الرحمن الاعظمي ، دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند ، مكتبة الرشد ، ط٢ ، الرياض ، ٢٠٠٣ ، ص٣٦٨ .

[٩] - ينظر ، عباس محمود العقاد ، حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، طبعة منقحة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص٥٢ .

[١٠] - ه . ج . ولز ، معالم تاريخ الانسانية ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، المجلد الثالث ، ط٣ ،١٩٦٣ ، نسخة الكترونية، www.kotoarabia.com ، ص٢٦ .

[١١] - يُنظر ، عباس محمود العقاد ، حياة المسيح ، ص٥٤ .

١٢ - شارل جنيبير ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ترجمة عبدالحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ب ت ، ص٣١ .

* - ويعني بذلك إن الوحي السابق على القران وممثلاً بالتوراة والانجيل يعد وحياً محرفاً من قِبل الكتبة الذين كتبوا تلك الكتب المقدسة ، وبذلك لم تكن تلك النصوص معترف بها من قبل المسلمين .

١٣ - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني ، ص٣١ .

** - تجمع المصادر التاريخية على ان النبي عيسى قد ولد في مدينة الناصرة في أقليم الجليل الواقع في القسم الشمالي من فلسطين ، التي لم تكن لتلك البلدة أي اهمية تذكر في التاريخ الديني ولم يدخل يسوع اورشليم طيلة مدة حياته التي امتدت لثلاثة وثلاثون عاماً إلا في السنة التي تم القاء القبض عليها ، فأغلب سني الدعوة ، والتي بدأت بعد سن الثلاثين ، قضاها في تلك القرى المحيطة ببحيرة طبريا الواقعة في الشمال وما جاورها من قصبات سائحاً مبتعداً هو وحواريه عن المدن الكبيرة . يُنظر ، شارل جنيبير ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ص٣٦- ٣٧ . ويُنظر أ . س . سفينسكانيا ، المسيحيون الأوائل والمبراطورية الرومانية ص ٧٣-٧٤-٧٥

١٤ - يُنظر ، عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٧ – ٨ .

١٥ - يُنظر ، شارل جنيبير ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ص ٤٦ .

[١٦] - احمد محمود صبحي ، في علم الكلام ، ج١ ، ص٢٢ .

[١٧] - احمد محمود صبحي ، في علم الكلام ، ج١ ، ص٢١

[١٨] - أ . س . سفينسيسكانيا ، المسيحيون الاوائل والامبراطورية الرومانية ، ص١١٩ .

[١٩] - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني ، ص٤٠ .

[٢٠] - لويس غرديه و ج. قنواتي ، فلسفة الفكر الديني ، ص٣٨ ، (الحاشية)

[٢١] - يُنظر احمد محمود صبحي ، في علم الكلام ، ص١٧ .

[٢٢]* - يفصح لنا التاريخ عن قيام صراعات دموية قامت نتيجة الخلافات الحاصلة بين الفرق وان كان العامل السياسي لعب دوراً في قيامها ، فعلى سبيل المثال ، يذهب الكثير من الباحثون الى ان المعركة التي دارت بين الامام علي وفرقة الخوارج (معركة النهروان ستة ٣٦ للهجرة) ما هي الا نتيجة تأويل لموضوع فاعل الكبيرة وموقعه من الايمان ، على اعتبار ان القبول بالتحكيم الذي وافق عليه الامام علي في موقعة صفين سنة ٣٥ للهجرة ، قد أخرجه – بحسب عقيدة الخوارج – من الايمان الى الكفر وعلى هذا الاساس قامت تلك المعركة ، كما يُخبرنا التاريخ أيضاً بان الكثير من رجال الدين ، كانوا قد تعرضوا للكثير من العنت نتيجة تبنيهم عقيدة كلامية تختلف مع العقيدة الرسمية للسلطة .

** - نتكلم هنا بالتأكيد عن القضية الكلامية الشهيرة التي برزت في عصر الخليفة العباسي (المأمون) والمعروفة بخلق القرآن والتي تبنتها السلطة ممثلةً بالمأمون والمعتصم والواثق ، والتي على إثرها نال الفقيه (احمد بن حنبل) ما نال من التعذيب في سجون الدولة لمعارضته المذهب المعتزلي في هذا الامر ، ، والتي عُرفت فيما بعد ب(محنة ابن حنبل) الى ان جاء الخليفة المتوكل الذي حارب المعتزلة دون هوادة بعد انتصاره لأحمد بن حنبل .

٢٣ - يُنظر ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، حققه وقدم له سعيد الغانمي ، منشورات الجمل ، ط١ ، بيروت . بغداد ، ٢٠١٣ ، ص١٢٩ .